المحسنات البديعية في رسائل ابن زيدون

Innovative improvements in the letters of Ibn Zaydun

قيس سعدون علي
د.مثنى عبدالله محمد علي
جامعة المَوصل/ كلية التربية للعلوم الإنسانيَّة/ قسم اللغة العربيَّة

Qais Saadoun Ali
Dr. Muthanna Abdullah Mohammad Ali
University of Mosul / College of Education for Humanities Sciences/ Department of Arabic Language

qaissaadoun95@gmail.com

تاريخ الاستلام ٢٠٢١/٤/١٩ تاريخ القبول ٢٠٢١/٦/١٣

الكلمات المفتاحية: الحسنات البديعية– السجع– الجناس

Keywords: Innovative improvements- Assonance - alliteration

المخلص

تناول البحث الموسوم (المحسنات البديعية في رسائل ابن زيدون) والظاهرة تستحق الدراسة والوقوف عليها، فقد تنكب الباحثون على دراستها، ولم تحظ بدراسة مستقلة إلا ما جاء من اشارات عابرة في الدراسات التي أجريت على أدب ابن زيدون، ومن هنا جاءت هذه الدراسة لمعرفة دور المحسنات البديعية في رسائل ابن زيدون، إذ ساهمت المحسنات البديعية على تزيين رسائل ابن زيدون وأكد معانيها وزادتها رونقاً وجمالاً، واعتنى ابن زيدون بالألفاظ وزخرفتها كما اهتم بالجمل والعبارات، وتعدُّ الوسائل البديعية من اهم الوسائل التي اعتمد عليها الكاتب لصياغة رسائله بأسلوب جميل ومؤثر.

ولتحقيق هذه الغاية، فقد بينا اهم المحسنات البديعية، منها: (السّجع، الإزدواج، الجناس، الطّباق، المقابلة)، إذ تساهم هذه المحسنات في بناء رسائله من حيث الشكل والمضمون.

Abstract

The research entitled (The rhetorical ameliorators in the letters of Ibn Zaidoun) dealt with this phenomenon that deserves to be studied and understood. Researchers have devoted themselves to studying it, and it has not received an independent study except for the transient references in studies which were done on the literature of Ibn Zaydun. Hence, this study came to know the role of the rhetorical ameliorators in the letters of Ibn Zaidoun, as the rhetorical ameliorators contributed in decorating the letters of Ibn Zaydun and emphasized their meanings and increased their elegance and beauty. Ibn Zaidoun was interested in expressions and their decoration, as well as with sentences and phrases. The creative means are considered one of the most important means that the writer relied on to formulate his messages in a beautiful and influential manner.

To this end, we have shown the most important rhetorical ameliorators, including: (assonance, duplication, balancing, alliteration, counterpoint, the corresponding), as these ameliorators contribute to build his messages in terms of form and content.

توطئة:

من الأمور الهامة في دراسة النّصوص الأدبية معرفة ما تحويه هذه النّصوص من محسنات بديعية التي يضفي على الرسّائل إيقاعا موسيقياً جميلاً ومؤثراً، وقد تنوعت المحسنات البديعية في رسائل ابن زيدون بين السّجع والإزدواج والموازنة والجناس والطّباق والمقابلة، وهذه الظواهر تبرز براعة الأديب وقدرته على تزيين رسالته، لأنها "تزيد الكلام حسنا وطلاوة، وتكسوه بهاءً ورونقاً، بعد مطابقته لمقتضى الحال، مع وضوح دلالته على المراد لفظاً ومعنى"(١)، واهتم الادباء الاندلسيين بفن البديعُ لأنه يصور الحياة الاندلسية "بزينتها وزخرفها وجمالها ورياحينها وورودها، وانهارها وحدائقها، وقصورها ذات اللوحات الاخاذة، والمناظر الخلابة، وكان البديع يحكي هذه البيئة الاندلسية بمظاهرها وصنوفها"(٢).

واعتنى ابن زيدون بتوظيف المحسنات البديعية في رسائله ؛ ليبرز براعته ويؤثر على المتلقي، ولتكون رسائله ذات طابع جمالي وفني. وفي هذا المبحث سنقف على ابرز المحسنات البديعية التي شاعت في رسائل ابن زيدون.

أولاً: السّجع

يعدّ السّجع من المحسنات البديعية ، إذ عرَّف بتعريفات عدّة كلّها تصب في قالب واحد: هو توافق فاصلتين في الحرف الاخير، وهي "طريقة في الإنشاء، وسارت منذ القدم في النثر العربي، وراجت كثيرا في عصور التنميق مع ما راج من محسنات بديعية. وهي تقوم على اتفاق فاصلتين الكلام في حرف واحد من التقفية"(٣).

فقد عرف الخطيب القزويني: "تواطؤ الفاصلتين من النثر على حرف واحد، وهذا معنى قول السكاكي: الإسجاع في النثر كالقوافي في الشّعر"(٤).

وكان السّجع في رسائل ابن زيدون مسايراً للطبع والذوق قائماً على التنويع في فواصل الجمل والعبارات، إذ لم يسير ابن زيدون على وتيرة واحدة، والسّجع عنده كألحان الموسيقى فيه الجمال والامتاع، ولم يلتزم حرفاً واحداً في جميع الفواصل، وانما كان ينوع بين حرف السّجعة، إلا في رسالته الهزلية التي سار ابن زيدون على وتيرة واحدة، واحتوت سّجعاً متكلفا ولكن تعمد بن زيدون في اظهار هذا التكلف والتصنع قصداً، وذلك للمبالغة في

(١) جواهر البلاغة، احمد الهاشمي: ٢٦١.

(٢) البلاغة العربية في ضوء الاسلوبية ونظرية السياق، محمد بركات حمدي: ١٤٥.

(٣) المعجم المفصل في اللغة والادب، اميل بديع يعقوب وميشال يعقوب: ٢٩٦/٢.

(٤) الايضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني: ٢٩٦.

الاستهزاء بمنافسه ابن عبدوس[١]، وقد نوّع السجع في رسائل ابن زيدون، وورد فيها السجع المتوازي كثيراً وهو "اتفقت فيه الفاصلتان فقط وزناً وتقفيه" [٢]، ومن الأمثلة في رسالته الهزلية: "**وهبك ساميتهم في ذروة المجد والحسب، وجاريتهم في غاية الظرف والادب، وجاريتهم في غاية الظرف والادب ، اليس تأوي الى بيت قعيدته لكاع ، اذا كلهم عزب خالي الذراع ! واين من انفرد به ممن لا اغلب الا على الاقل الاخس منه، وكم بين من يعتمدني بالقوة الظاهرة، والشهوة الوافرة إليَّ واللّذة الموقوفة عليَّ، وبين آخر قد نزحت بيره ، ونضب غديره ؛ وذهب نشاطه ، ولم يبق إلا ضراطه**" [٣]، نلاحظ توازن في الفواصل وزناً وتقفية (الحسب، الادب)، (لكاع، ذراع)، (الظاهرة، الوافرة)، ... وهذا السجع "أكسب الكلام حسناً وجمالاً لما فيه من جرس موسيقي مؤثر فوق انه يزيد من قوة أداء الفكرة ما دام مرتبطاً بها وغير مجتلب لتحسين اللفظ من غير استدعاء المعنى له" [٤]

وظف ابن زيدون السّجع في رسالته الهزلية بكثرة فلا تكاد فقرة من فقراته تخلو منه، ومن السّجع المتوازي فيها: "**وكسرى حمل غاشيتك، وقيصر رعى ماشتيك، والاسكندر قتل دارا في طاعتك، واردشير جاهد ملوك الطوائف لخروجهم عن جماعتك، والضحاك استدعى مسالمتك، وجذيمة الابرش تمنى منادمتك، وشيرين قد نافست بوران فيك، وبلقيس غايرت الزباء عليك...**"[٥]. واستعمل ابن زيدون السّجع على وتيرة واحدة بتكرار حرف الكاف في الفواصل، وقد عمد الكاتب الى انهاء معظم الفواصل بحرف الرّوي واحد، وأفاد هذا التكرار الى لفت انتباه السامع الى شيء مهم وهو الاستهزاء من منافسه ابن عبدوس، ورسخ هذه الفكرة و أوصلها الى المتلقي عن طريق السّجع، وحققت تراكماً صوتياً لما له من وضوح سمعي "لما يحدثه من النغمة المؤثرة والموسيقى القوية التي تطرب له الأذن"[٦]، وتهتز له اوتار القلوب، وبالغ ابن زيدون في السّجع في رسالته الهزلية ويعود السّبب الى خصوصيتها باستعمال الفاظ قبيحة، وليزيد رغبة المتلقي لاستكمال الاستماع، وليجذب انتباهه ويجعل ذهنه متوقداً مع

---

(١) ينظر: ادب الرسائل في الاندلس في القرن الخامس الهجري، فايز عبد النبي فلاح القيسي: ٣٥١-٣٥٢.

(٢) علم البديع دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع، بسيوني عبد الفتاح:٢٩٣.

(٣) ديوان ابن زيدون ورسائله، علي عبد العظيم: ٦٧٢-٦٧٣.

(٤) دراسات في البلاغة العربية، عبد العاطي غريب علام: ٢٢١.

(٥) ديوان ابن زيدون ورسائله: ٦٣٩.

(٦) ينظر: علم البديع دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع: ٣٠١.

النص واكثر من السّجع ليطغى على موضوعها القبيح، ويعلم ابن زيدون ان "السّجع فناً جميلاً بليغاً، يكتسى به اللفظ حلية وبهية، ويزداد به المعنى قوة وفخامة، ويجعل الاسلوب مؤثرة في النفس، مستعليا على الاسماع والعقول"(١).

وظف ابن زيدون هذه السّجعات ليعطي جرساً موسيقياً جميلاً يجذب انتباه المتلقي للنص، كما يبين – ابن زيدون – قدراته وبراعته بتعدد مصطلحات نحوية وصرفية ويوازن بينه وبين ابن عبدوس ويقلل من قيمة منافسه، ونجد الكلمات الواقعة في الفواصل "تتماسك مع المعنى وتنحدر على الاسماع وتناسق مع السياق انسياقاً تاماً"(٢).

لا تخلو رسّالة من رسائل ابن زيدون من السّجع، إذ ورد السجع في جميع رسائله، ومنها في رسالته البكرية، فمن السّجع المتوازي فيها: "**وشكوت ذلك الى الحاكم الحابس لي في اليوم الذي مضى ذكره، بمشهد من تقدم وصفه، فانتفى من الرضى به، واظهر الامتصاص منه...**"(٣)، وقال أيضاً: "**فلم استطيع صبراً، وعلمت اني قد ابليت عذراً، ولم يبق الا ان يعذرني لبيد، وكاد!! ورأيت ان العاجز من لا يستبد...**"(٤)، والى غير ذلك من أمثلة كثيرة، ونلاحظ تنوع الجمل بين الطول والقصر وهذا يدل ان اسلوب الكتابة في هذه الرسّالة اقرب الى العفو والطبع دون تكلف.

وظف ابن زيدون السّجع بما يتناسب مع الغرض ويعدّ لبنة من لبنات المعمار الفني للرسّالة، ويؤدي دوراً مهما بتكوينه الايقاعي ومضمونه المعنوي وله اهميته من حيث مكانة المختار في كل جزء من اجزاء الرسّالة، ومن حيث عطائه المتبادل مع بقية زوايا البناء(٥).

ومن السّجع المتوازي ايضاً في رسالته المظفرية: "**واغض من جنى الزهر، وألطف من نسيم السمر..**"(٦)،

معظم عبارات هذه الرسّالة جاءت مسجوعة ويظهر السّجع في الفقرة السابقة بحرف (الراء) وهو يعطي جرساً موسيقياً يجذب انتباه السامع، والسّجع جاء حسناً لأنه "الفاظه في تركيبها تابعة لمعانيها وان يقع فيما يليق به من الخطابة ونحوها"(٧)، ورسائله الاخرى جاءت السّجع على النهج نفسه ومنها في رسالته العبادية: "**ان تحسده الكواكب في**

---

(١) دراسات منهجية في علم البديع، الشحات محمد ابو ستيت: ١١٣.

(٢) علم البديع دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع: ٣٠٢.

(٣) ديوان ابن زيدون ورسائله: ٧٣٣.

(٤) المصدر نفسه: ٧٣٥.

(٥) ينظر: البديع في شعر شوقي، منير سلطان: ٨٦.

(٦) ديوان ابن زيدون ورسائله: ٧٥٦.

(٧) دراسات في البلاغة العربية: ٢٢١.

اشراقها، وتنحشد إليه الاماني من اطرافها، والله يبقيه لعبده الذين انا اخرهم في الخدمة، واولهم في شكر النعمة.."(١).

واستعمل السّجع في الفقرة السابقة لخدمة المعنى في المدح والثناء لابن عباد وليعطي جرساً موسيقياً يجذب انتباه السامع.

ورد (السّجع المطرّفَ) ايضاً في رسائل ابن زيدون، وهو " **ما اختلفت الفاصلتان أو الفواصل وزناً واتفقت روياً**"(٢)، ومن الأمثلة: " **وقلدك عمرو الصّمصامة، وحَمَلك الحارث على النعامة، ما شككتُ فيك، ولا تكلمت بملء فيك، ولا سترث إياك، ولا كنت إلا ذاك ... وهل يجتمع لي فيك إلا الحشف وسوء الكيلة، ويقترن لي بكَ إلا الغدة والموت في بيت سلولية**"(٣).

نلاحظ اختلاف وزن كلمة (الصمصامة) عن (النعامة) وكذلك (أباك) عن (ذاك)، وعلى الرغم من اختلاف الوزن في السجعات اضفى عليها شكلاً فنياً موسيقياً جميلاً، وساهم تكرار الفواصل على ترسيخ الفكرة للإستهزاء بخصمه ابن عبدوس.

ومن السجع المطرَّف في رسالته الجدية التي ورد فيها بكثرة ولكن لم يكن بكثرة السجع في رسالته الأولى، بل حرص واهتم بالتناسق بين اللفظ والمعنى، ومن قوله **واعتديتُ في السبت ، وتعاطيتُ فعقرت ، وشربت من ماء النهرِ الذي ابتلىَ به جنود طالوت ، وقدتُ الفيلَ لإبرهه ، وعاهدتُ قريشاً على مافي الصحيفه ، وتأولتُ في بيعة العقبة** ..." (٤)، والى غير ذلك من امثلة كثيرة، ضمنها رسالته، وذلك أراد ان يخرج للأمير رسّالة محكمة الصياغة واستعمل في العبارات السابقة السجع المطرف ليعطي نفسه حرية التصرف بالسجعات دون الالتزام بوزن معين، ويؤكد لإبن جهور انه لم يرتكب خطيئة أو جريمة ليشفع له الأمير، فبنى رسالته بسجعات مركزة لخدمة المعنى، ولتكون الالفاظ جميلة وسلسة ولطيفة على مجاري الكلام، ومايحدثه من أجراس متناغمة، فتقبل على السماع من غير ملل أو سأم.

وورد (السّجع) المرصع ايضاً في رسائله، وهو "ان يكون مافي احدى القرينتين من الالفاظ أو اكثر مثل مايقابله من الأخرى وزناً وتقفية.." (٥)، ومن السّجع المرّصع في رسالته

---

(١) ديوان ابن زيدون ورسائله: ٧٧٤.

(٢) علم البديع دراسة تاريخية وفنية لاصول البلاغة ومسائل البديع: ٢٩١.

(٣) ديوان ابن زيدون ورسائله: ٦٧٢-٦٧٤.

(٤) المصدر نفسه: ٦٨٩.

(٥) علم البديع دراسة تاريخية وفنية لاصول البلاغة ومسائل البديع: ٢٩٢.

الهزلية، إذ قال: " **وضرب وقسّم، وعدل وقوّم؛ وصنّف الأسماء والأفعال، وبوّب الظرف والحال؛ وبنى وأعرب، ونفى وتعجب؛ ووصل وقطع، وثنى وجمع؛ وأظهر وأضمر، واستفهم وأخبر ، وأهمل وقيد ، وأرسل وأسند ، وبحث ونظر ، وتصفح الاديان ، ورجّح بين مذهبي ماني وغيلان ، وأشار بذبح الجعْد، وقتل بشار بن بُرد، وأنك لو شئتَ خرقت العاداتِ، وخالفت المعهودات ...** "(١).

نلاحظ رصع معظم فصول الكلام بما يقابله ويوزانه ويناظره (وضرب وقسم) يقابل (وعدل وقوم)، (وصنف الأسماء والافعال) يقابل (وبوب الظرف والحال)، وَ (بنى وأعرب) يقابل (ونفي وتعجب).. وهذا التساوي والتعادل في الوحدات الإيقاعية حقق رنيناً صوتياً واستعمل ابن زيدون السجع القصير المؤلف من الفاظ قليلة، وكلما كانت الالفاظ قليلة كانت اقرب الى سمع السامع لقرب الفواصل. وهذا الضرب أوعر السّجع مذهباً وأبعده متناولاً، ولا يكاد استعماله إلا قليلاً "(٢).

ومن السّجع المرصع في رسالته المظفرية، إذ قال: " **لما لبس الحاجب -أعزه الله -رداء المجد معلما، وحمل لواء الحمد معلنا، فاستطار بارق فجره، واستضاع فائح ذكره، وشهرت محاسنه على كل لسان، وسارت مآثره مسير الشمس بكل مكان ، لما سوغ من كرمه ، وأسبغ من نعمه**"(٣).

ابن زيدون افتتح رسالته بهذا النغم الموسيقي الجميل، إذ قابل ووازن بين الجمل، ونلاحظ جملة (رداء المجد معلماً) يقابل (حمل لواء الحمد معلناً)، وجملة (استطار بارق فجرِه) يقابل (واستضاع فاتح ذكرِه) وجملة (وشهرت محاسنه على كل لسان) يقابل (وسارت مآثره مسير الشمس في كل مكان) .. لاحظنا اكثر الالفاظ في الجملة الأخرى وزنا وتقفيه، فجاءت سجات مركزة ومتتابعة ليؤثر في نفس المرسل إليه ويكسب وِدّهِ؛ ليتفاعل مع النص ويلبي طلبهِ، وجاءت السجعات متوافقة مع المعنى، فكان لجرسها السريع والمتتابع وقع للالفاظ، بما يكسب المتلقي نحوها ويجذب انتباهه ويرفع من شأن النص.

ومما ذكر كان على سبيل المثال لا الحصر يعدّ قليلاً مما هو موجود في رسائله السبعة التي تمتلئ بالمحسنات البديعية ومنها السّجع، ليرفع من شأن نصه، وتشد الاخرين فيها: "وانه يؤثر في النفس تأثير السحر ويلعب بالافهام لعب الريح بالهشيم، لما يحدثه من النغمة المؤثرة والموسيقى القوية التي تطرب لها الاذن وتهش لنا النفس، فتقبل على السماع من غير ان يداخلها ملل أو يخالطها فتور، فيتمكن المعنى من الاذعان، ويقر في الافكار،

---

(١) ديوان ابن زيدون ورسائله: ٦٥٠-٦٥١.

(٢) ينظر: علم البديع، عبد العزيز عتيق: ٢٢١.

(٣) ديوان ابن زيدون ورسائله: ٧٥٤.

ويعز لدى العقول"[١]، وعمد ابن زيدن لابراز مواهبه في انتاج رسائل مميزة من الناحية الفنية واللغوية ليظهر فيه ثقافته الواسعة وسعة اطلاعه، وعموماً وظف ابن زيدون السّجع "كوسيلة من وسائل التعبير الفني بعيداً عن القوافي وتنويعها، وتقصير الفواصل وتطويلها، وهذا هو سر الحسن فيه"[٢]، وساعد السجع على رفع شأن رسائل إبن زيدون وجذب المتلقين نحوها.

ثانياً: الإزدواج

يعدّ الإزدواج من المحسنات البديعية اللفظية التي تكتسب النص جمالاً ورونقاً وايقاعاً، وقد اعطى بعض علماء البلاغة اهمية كبيرة لهذا الفن، فأبو هلال العسكري يؤكد اهمية الإزدواج، يقول: "ولا يحسن منثور الكلام ولا يحلو حتى يكون مزدوجاً، ولا تكاد تجد لبليغ كاملاً يخلو من الإزدواج، ولو استثنى كلام عن الإزدواج لكان القرآن؛ لأنه في نظمه خارج من كلام الخلق، وقد كثر الإزدواج فيه حتى حصل في اوساط الآيات فضلاً عما تزاوج في الفواصل منه"[٣].

والإزدواج جزء من السجع أو قريب منه، والأفضل ان يكون كل فاصلتين على حرف واحد أو ثلاث، أو اربع، ولا يتجاوز ذلك احسن، وإن جاوز ذلك انسب الى التكلف، وكلما كانت الاجزاء متوازنة كان أجمل [٤]، والفرق بينه وبين السجع؛ إذ يشترط في السجع اتفاق الفواصل، أما الإزدواج يشترط فيه التوازن في الإيقاع الصوتي بين الجمل في الطول والرنين الموسيقي.

وتظهر سمة الإزدواج في رسائل ابن زيدون، وذلك لتكسب رسائله ايقاعاً ذات طابع جمالي لأنه الانتقال "من نغم الى نغم، ومن لحن عذب الى آخر...، وهذه التشكيلة الصوتية تحدث امتاعاً للنفس وترويجاً لها، فلا يتسرب إليها الملل من جراء التركيز على لون واحد من موسيقى اللفظ"[٥]، لتؤثر في المتلقي ويبرز براعته، وانه يزيد من تلاحم رسائله ويقوى من ارتباطه، ومن الامثلة في رسالته الهزلية "**وضرب وقسّم، وعدل وقوّم؛ وصنّف الأسماء والأفعال، وبوّب الظرف والحال؛ وبنى وأعرب، ونفى وتعجب؛ ووصل وقطع، وثنى وجمع؛**

(١) علم البديع دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع: ٣٠١-٣٠٢.
(٢) نظرية الحجاج تطبيق على نثر ابن زيدون، عزيز لدية: ١٠٠.
(٣) كتاب الصناعتين، ابي هلال الحسن بن عبدالله العسكري: ٢٦٦.
(٤) المصدر نفسه: ٢٦٦.
(٥) النثر الفني عند المترسلين من الشعراء، احمد سعيد الزهراني، (اطروحة دكتوراه): ٢٢٨.

وأظهر وأضمر، واستفهم وأخبر، وأهمل وقيّد ..." [١] وقال أيضاً: "**فوجودك عدم، والاغتباط بك ندم، والخيبة منك ظفر، والجنة معك سقر، كيف رأيت لومك لكرمي كفاء؟ وصعتك لشرفي وفاء...**"[٢].

صور الإزدواج التي اعطت للرسّالة نغماً موسيقياً جميلاً (وصنف الأسماء والافعال، وبوب الظرف والحال) ، (وبنى وأعرب، ونفى وتعجب) ، (ووصل وقطع)، (وثنى وجمع) ... وإلى غير ذلك من أمثلة كثيرة في رسالته الهزلية، هذه الجمل متوازنة في الإيقاع الصوتي والرنين الموسيقي مما أعطت نغماً موسيقياً جميلاً تطرب له الأذن وتجذب الانتباه، فبنى ابن زيدون رسالته كلها على السّجع والإزدواج، ونلاحظ المبالغة في استعمال الإزدواج ولم يفسد المعنى بتركيزه على هذه الفواصل بل اضافت للرسّالة رونقاً وجمالاً، وعمل ابن زيدون على تجنب السأم والملل بإنصاف فواصل الرسّالة مع وزنها، والفواصل مزدوجة فيما بينها مما اعطى هذا الاختلاف على تنويع النغمة الموسيقية لتتنوع المعاني وتتأثر به العواطف والمشاعر.

ونلاحظ ان "هذا الإزدواج قد اعطى العبارات والجمل نغما مؤثراً، واضفى عليها ايقاعا موسيقياً بليغاً يدل على قدرة الكاتب على تأليف المفردات المناسبة، وتحقيق الانسجام بينها، مما يخدم المعنى المقصود، ويبرزه في ثوب الرقة والجمال وقوة التأثير"[٣].

ومن امثلته في رسالته الجدية: منها: "**والله ما غششتك بعد النصيحة، ولا انحرفت عنك بعد الصاغية**"[٤]، وقال ايضا: "**وأبليت البلاء الجميل في سماطك، وقمت المقام على بساطك... بل وجدت أجراً وجصاً، ومكان القول ذا سعة فقلت**"[٥]، وقال أيضاً: "**ان الادب الوطن الذي لا يخشى فراقه، والخليط الذي لا يتوقع زباله، والنسب الذي لا يخفى، والجمال الذي لا يجفى**"[٦]، وغير ذلك من الأمثلة، اهتم ابن زيدون بالشكل كما اهتم بالمضمون بل كان الشكل معبراً عن مضمونه ليبين للمرسل اليه براءته ومظلوميته وهو في السجن فظهرت عليه علامات الحزن والالم وهو يكتب الرسّالة، فظهرت الإزدواج للنص صور جميلة من الايقاعات الصوتية، ويجذب الانتباه، ويجعلها ذات واقع خاص في نفوس السامعين.

---

(١) ديوان ابن زيدون ورسائله: ٦٤٩-٦٥٠.

(٢) المصدر نفسه: ٦٦١.

(٣) ادب الرسائل في الاندلس في القرن الخامس الهجري: ٣٥٣.

(٤) ديوان ابن زيدون ورسائله: ٦٩٧.

(٥) المصدر نفسه: ٧٠٠-٧٠٢.

(٦) المصدر نفسه: ٧٠٥.

وأكثر من الإزدواج في رسالته البكرية، ومنها: "**ويشهد ابن العطار المشاري العاري عن الثقة والامانة، البعيد عن الرعاية والصيانة، الناشر لأذنيه طمعاً، الاكل بيديه جشعاً... ولم يقتصر على ان الحق بالشهود وهو واو عمرو فيهم، ونون الجمع المضاف معهم، دون ان يلحق بجزيته ذي الشهادتين، وينوب منفرداً عن اثنين**"(١).

ومنها أيضاً: "**فكلهم أفتى بالاعذار إليّ، فيما شهد به من ذلك عليّ، ثم سجني ان لم آت بمدفع، أو اصدع من الحجة بمقنعٍ، فاحتاط واجتهد، وتحرى واقتصد، وصالحني من هذه الفتيا على النصف، بتأخير الاعذار وتقديم السجن!! والصلح جائز بين المسلمين**"(٢).

هيمن الإزدواج على رسالته، نلاحظ الجمل السابقة توازن في الإيقاع الصوتي، إذ وازن بين (وأبليت البلاء الجميل في سماطك، وقمت المقام على ساطك) ، (ان الادب الوطن الذي لايخشى فراقه، والخليط الذي لايتوقع زياله)، (والنسب الذي لايخفى، والجمال الذي لايجفى)، وساعد الإزدواج على تلاحم الكلام وربطه "فالمعنى الأول للفظ الأول من القول يستدعي المعنى الثاني للفظ الثاني من القول، فيبني المقطع على هذه المزاوجة فيتسق لفظياً، وينسجم معنوياً، ومن ثم تكون المزاوجة أداة – إذا لوحظت على مستوى النص – تربط جمل النص ومقاطعه فيوصف بالاتساق"(٣).

وظف ابن زيدون الإزدواج لاثارة مشاعر واحاسيس المخاطب واضفى على رسائله رونقاً وجمالاً، وما تم المعنى وعاضده في ايصال الفكرة على اتم وجه.

ومن الإزدواج في رسالته العامرية: "**وكبت اعداءه لما خصه الله به من سناء الهمم، وسماحة الشيم؛ وانتظام اسباب الرياسة، وكمال آلات السياسة؛ واجتماع المناقب التي افردته من النظراء؛ واعلته عن مراتب الاكفاء؛ فرأيت قبل ان احمل لغيره نعمة، أو اوسم ممن سواه بصنيعة**"(٤).

فالإزدواج جاء رائعاً بجمله تلك ذات الجرس اللفظي الجميل بايقاع له تأثير قوي على النفس، وخدم الإزدواج الغرض، إذ يحاول كسب ود الامير (معتضد بن عباد) ليشفع له ويذهب إليه ويحصل على منصب في دولته، فيحاول اقناعه بهذا الاسلوب الفني الجميل.

---

(١) ديوان ابن زيدون ورسائله: ٧٢٤-٧٢٥.

(٢) المصدر نفسه: ٧٢٨.

(٣) الاتساق والانسجام في المنزع البديع للسجستاني، عدي عدنان محمد (بحث): ٦٤.

(٤) ديوان ابن زيدون ورسائله: ٧٦٤-٧٦٥.

وسار ابن زيدون في رسالته العبادية على النهج نفسه، إذ يقول: "**ومولى المناقب الجليلة، والضرائب النفيسة، في اكمل ما تكفل له به من علو القدر، ونفاذ الامر، وخصه من النعم بأسبغها سربالا، وأبردها ظلالاً، واحمدها مالاً**"(١).

وظف ابن زيدون الإزدواج لتكون رسالته منسجماً ومحكماً في صياغته، ويخدم غرضه في مدح الامير، وليثبت براعته وقدرته الأدبية لان الإزدواج "يحتاج الى تأمل ومراجعة حتى يتأتى على صورته المحكمة، وهي بهذا تعد نمطاً عالياً من الكلام، وفناً متميزاً منه"(٢).

الإزدواج زيين رسائل ابن زيدون وأكد معانيها وزادها رونقاً وجمالاً ورسوخاً في الاذهان واكثر استقرارا في الوجدان وليبين قدراته الابداعية ويحقق الانسجام والتوافق بين الجمل والعبارات.

ومما ذكر من الإزدواج كان على سبيل المثال لا الحصر مما هو موجود في رسائله السبعة.

ثالثاً: الجناس

ورد الجناس كثيراً في كلام العرب سواء الشّعر أو النثر، ويعدّ من المحسنات البديعية اللفظية، وهو: "تشابه لفظين في النّطق، واختلافهما في المعنى"(٣).

يورد الجناس في جزء من الكلام "نحو بيت من الشّعر، والجزء من الرسّالة أو الخطبة – كلمتين تجانس كل واحد منهما صاحبتها في تأليف حروفها على حسب ما ألف الاصمعي كتاب الاجناس"(٤).

يعدّ الجناس أحد ركائز ابن زيدون الفنية التي شاعها في رسائله بشكل كبير؛ فجميع رسائله يحتوي على هذا اللون من المحسنات اللفظية، وتكاد لا تخلو جملة أو فقرة في تراكيبه من ضرب من ضروب الجناس المعروفة، فكان لازمة من لوازم رسائله، إذ يسعى إليه سعياً حثيثاً؛ لما يشيعه في النص من جرس موسيقي مطرب ولذيذ(٥).

ومن الامثلة في رسالته الهزلية: "**قاطعة انك انفردت بالجمال، واستأثرت بالكمال، ... وان قارون أصاب بعض ما كنزت، والنطف عثر على فضل ما ركزت، وكسرى حمل غاشيتك، وقيصر رعى ماشيتك**.."(٦)، فالجناس في العبارة السابقة بين: (الجمال، الكمال)،

---

(١) ديوان ابن زيدون ورسائله: ٧٦٩.

(٢) دراسات منهجية في علم البديع: ١٠٠.

(٣) جواهر البلاغة: ٤٠٣.

(٤) كتاب الصناعتين: ٣٣٠.

(٥) ينظر: النثر الفني عند لسان الدين الخطيب: ١٩٤.

(٦) ديوان ابن زيدون ورسائله: ٦٣٨.

(كنزت، ركزت)، (غاشيتك، ماشيتك). اعتمد ابن زيدون الجناس في السّجع وذلك تحدياً للخصم ابن عبدوس، ويبرز قدراته الابداعية واللغوية في بناء رسالته، واستعمل الجناس الناقص ليتنوع الايقاع مما يدفع الملل عن المتلقي وهو اقرب الى النفس مما تتفعل لذلك وتطرب(١).

وأحسن ابن زيدون في استعمالها وبرع في توظيف الجناس بما يتناسب مع الغرض ويتطلبه المعنى ويدل ذلك على قدرته على التأليف والانسجام ليخرج نصه بأبهى صورة(٢).

ومن الجناس في رسالته الجدية: "**عارضة النظم مباهياً، بل كايده مداهياً حين اشفق من ان يعطفك استعطافه، ويميل بنفسك الطافه، فاستحسن العائدة منه، واعتد بالفائدة له وما زال يستكد الذهن العليل والخاطر الكليل**"(٣) ومنها أيضاً: "**يبسطها الأمل، ويقبضها الخجل**"(٤).

فالجناس في العبارة السابقة بين (مباهياً، مداهياً)، (العائدة، الفائدة)، (العليل، الكليل)، الجناس هنا غير تام اذ اعطت للنص تجاوباً موسيقياً صادراً عن تماثل الكلمات تماثلاً كاملاً أو ناقصاً تطرب له الاذن وتهتز له اوتار القلوب فضلاً عن اهمية الجناس في خلق الموسيقى الداخلية في النص الأدبي وبناء ما بين الفاظه من وشائج التنغيم ويحدث مفاجأة وخداع الافكار واختلاب الاذهان ويكون لطيفاً على مجاري الكلام(٥). ويعمل الجناس على تنشيط الفكر ويبعد الملل والسأم في نفس القارئ، فضلاً عن ما يحدثه من ترابط وانسجام وتكامل، ولهذا نلاحظ بناء رسائل ابن زيدون بشكل فني متميز.

ورد الجناس في رسائله الأخرى، ومن الامثلة في رسالته البكرية: "**حاشا دقائق بينها ومحقرات عينها**"(٦) ومنها أيضاً: "**والبين عن الاحبة، فتبين ان ايحاش نفسي باينا أهلي**"(٧)، ومنها في رسالته المظفرية: "**الذهن عليل، والطبع كليل، والروية فاسدة، وسوق الادب – الا عنده كاسدة**"(٨)، ومن الامثلة في رسالته العامرية: "**واهدي اليك ندى الغض**

---

(١) ينظر: نظرية الحجاج تطبيق على نثر ابن زيدون: ١٠١.

(٢) دراسات في البلاغة العربية: ٢١٦.

(٣) المصدر نفسه: ٧١٦.

(٤) المصدر نفسه: ٧١٨.

(٥) ينظر: علم البديع دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع: ٢٨٧.

(٦) ديوان ابن زيدون ورسائله: ٧٢٩.

(٧) المصدر نفسه: ٧٣٧.

(٨) المصدر نفسه: ٧٢٩.

الناضر من سلامي، والاربع العاطر من تحيتي"[١]، ومن الامثلة في رسالته العبادية: "**فوالله ما ينصرف فكري، ولا ينصرم من عمري**"[٢].

فانه جانس بين الكلمات التالية: (بينها، عينها)، (البين، فتبين)، (عليل، كليل)، (فاسدة، كاسدة)، (الناظر، العاطر)، (ينصرم، ينصرف)، وبرع ابن زيدون في استعمال الجناس لأنه "كان المعنى يقتضيه والمقام يستدعيه وله أثر جليل في الاسلوب لا تتحقق بدونه، فاذا خرج عن هذا الحد كان مجرد تلاعب بالألفاظ واصبح ممجوجاً مكروها، وقد يؤدي الى تعقيد الكلام واخراجه عن نطاق الفصاحة"[٣].

والجناس في العبارات السابقة غير تام وقد كان الحظ الأوفر والنّصيب الأكبر في رسائل ابن زيدون ولم يترك موضوعاً الا وادخله فيه، اذ لا يعيقه طبيعة الموضوعات ومناسباتها، كما أدخله في الأسجاع التي اعتمدها في أسلوبه المسجوع، ومع أنه حسن في ذاته الا أن اشتراكه مع الالوان الاخرى، لاسيما السّجع، ويزيده حسناً وجمالاً، ورفعة وعلواً[٤]. ويعدّ "الجناس من أسباب تلاحم الاسلوب وترابطه لما بين طرفيه من المماثلة الشكلية، وله وقع موسيقي ملحوظ، يجعل الاسلوب مميزاً وذا أثر قوي في النفس"[٥].

وهكذا وصلنا الى الحقيقة المهمة أنّ إبن زيدون كان يمتلك ثقافة واسعة، وثراء اللغة وتأثر بروافد الحضارة وسيولها الزاخرة وقد افتن كثيراً في اضفاء أرق التلاوين الايقاعية، وأعذب الحلي الموسيقية على جمل وعبارات رسائله، ليجلوا عن افكاره ويفصح عن معانيه بأجمل الصور النغمية، وأرق الاساليب التعبيرية[٦]، وأحسن ابن زيدون في توظيف الجناس في رسائله، ويدل ذلك على تمكنه من اللغة وتصريفاتها، وبراعته على التأثير على المتلقي وجذب انتباهه للاستمرار في تلقي الرسّالة.

رابعاً: الطّباق

من المحسنات البديعية المعنوية، وهو "الجمع في العبارة الواحدة بين معنيين متقابلين، على سبيل الحقيقة، وعلى سبيل المجاز، ولو ايهاما، ولا يشترط كون اللفظين الدالين عليهما من نوع واحد كاسمين أو فعلين، فالشرط التقابل في المعنيين فقط"[٧].

---

(١) ديوان ابن زيدون ورسائله: ٧٦٨.

(٢) المصدر نفسه: ٧٧١.

(٣) دراسات منهجية في علم البديع: ٢١٦.

(٤) ينظر: النثر الفني عند لسان الدين ابن الخطيب، عبد الحليم الحسين مهروط: ١٩٧.

(٥) دراسات منهجية في علم البديع: ٢٢١.

(٦) ينظر: الرسائل الأدبية النثرية: ٤١٦.

(٧) البلاغة العربية أسمها، وعلومها، وفنونها، عبد الرحمن حبنكة الميدلاني: ٣٧٧/٢.

والطّباق يزيد الكلام حسناً ويقرب الصورة للمتلقي ويزيدها وضوحاً[١]، ويقال له أيضا: "المقابلة، والتطبيق، والتضاد"[٢].

سماها ابو هلال العسكري المطابقة، وعرفه: "هي الجمع بين الشيء وضده في جزء من أجزاء الرسّالة أو الخطبة أو بيت من القصيدة"[٣].

وقد اشتملت رسائل ابن زيدون على الطّباق الذي زاد في رسائله جمالاً، ويزيده بهاءً "فالضد – كما قالوا – يظهر حسنه الضد، ولكن وظيفة الطّباق لا تقف عند هذا الزخرف وتلك الزينة الشكلية، بل تتعداها الى غايات أسمى، فلابد ان يكون هناك معنى لطيف ومغزى دقيق وراء جمع الضدين في اطار واحد، والا كان هذا عبثا وضربا من الهذيان..."[٤].

والطّباق نوعان: ايجابي وسلبي، وظف ابن زيدون الطّباق الايجابي بشكل مكثف في رسالته الهزلية، ويقول: "**فإن العجب أكذب ومعرفة المرء نفسه أصوب**"[٥]، ومنها أيضاً: "**وميز – الصحة من المرض...، وصنف الاسماء والافعال.. وأظهر وأضمر**"[٦]، ومنها أيضاً: "**وهلا علمت ان الشرق والغرب لا يجتمعان؟ وشعرت ان (ناديي) المؤمن والكافر لا يتقاربان؟ وقلت: الخبيث والطيب لا يستويان؟**"[٧].

فالطّباق في العبارة السابقة بين: (أكذب، أصوب)، (الصحة، المرض)، (الاسماء، الافعال)، (الشرق، الغرب)، (المؤمن، الكافر)، (الخبيث، الطيب).

استعان ابن زيدون بالطّباق لتشغيل ذهن المتلقي والتأثير في نفسه والمبالغة في وصف ابن عبدوس والاستهزاء به وكما قارن بينه وبين ابن عبدوس عن طريق التضاد وسلق الادلة الكافية للتقليل من قيمة ابن عبدوس ليبتعد عن ولادة، اذ التضاد قرب الصورة للمتلقي وزاد المعنى وضوحاً، ويعتبر الطّباق من الوسائل التي اعتمد عليها ابن زيدون في نطاق اهتمامه وعنايته بالمعنى والجمل التي تساعده على التعبير عند مشاعره وأحاسيسه لتوصيل المعنى الى المتلقي بأبهى صورة.

---

(١) ينظر: جواهر البلاغة: ٣٦٥.

(٢) علم البديع دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع: ٣٨.

(٣) كتاب الصناعتين: ٣١٦.

(٤) علم البديع دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع: ١٣٩.

(٥) ديوان ابن زيدون ورسائله: ٦٣٥.

(٦) المصدر نفسه: ٦٤٩.

(٧) المصدر نفسه: ٦٦١-٦٦٢.

وجاء بطباقات متوافقة موضوعياً وفنياً مع غرض الرسّالة ولخدمة غرضه ومقصده، وزين به رسالته وحسن به من موقعه في النفس ليشد انتباه المتلقي باتجاه الرسّالة ووظف ابن زيدون هذا الأسلوب البديعي الجميل، لما يحمله من دلالات ومضامين فكرية وفنية، منسجمة ومتناغمة[١]. والطّباق توضح المعنى وتظهره وتؤكده، "وكف طريق المقارنة بين الضدين، وتصور أحد الضدين فيه تصور للآخر، وعلى هذا فالذهن عند ذكر الضد يكون مهيأ للآخر ومستعداً له، فإذا ورد عليه ثبت وتأكد"[٢].

لم يكثر ابن زيدون في استعماله للطباق في رسالته الجدية ويعود ذلك لعدم حاجته الى المقارنة بين شيئين، وإنما شرح موقفه وتعرضه للظلم والهوان، ليشفع له الامير ويخرجه من السجن، فموضوع رسالته لا يحتاج الى الطّباق والمقارنة، ولذلك استعمل الطّباق في نصه بشكل قليل، ومن الأمثلة في رسالته، يقول: "**وأنفع الحيا ما صدف جدبا، وألذ الشراب ما أصاب غليلاً، ومع اليوم غد**"[٣]، ومنها أيضاً: "**وتخلفت عن صلاة العصر في بني قريظة، وجئت بالإفك على عائشة الصديقية**"[٤]، ومنها أيضاً: "**عارضه المظم مباهياً، بل كايده مداهيا**"[٥].

فالطّباق في العبارة السابقة بين: (الحيا، جدبا)، (اليوم، غد)، (تخلفت، جئت)، (مباهيا، مداهيا). على الرغم من قلة تضاد الطّباق في هذه الرسّالة الا انه لم يستغنِ عن تضاد الطّباق لأنها تعد من أسس التفكير والتعبير الانساني وليست قولاً أو زينة بديعية فقط.

وظف ابن زيدون الطّباق في رسالته البكرية بشكل معتدل غير مبالغ، ليزيد من جمالية النص، يجعله أكثر وضوحاً وسلاسة، ومنها: "**ويل للشجي من الخلي، وهان على الاملس ما لاقى الدبر**"[٦]. ومنها أيضاً: "**وتهتبل أخيراً ما اغفلت أولاً**"[٧]، ومنها أيضاً: "**وصالحني من هذه الفتيا على النصف، بتأخير الاعذار وتقديم السجن**"[٨]. فالطّباق في العبارة السابقة بين: (الشجي، الخلي)، (الاملس، الدبر)، (اخراً، اولاً)، (تأخير، تقديم).

---

(١) ينظر: النثر الفني لسان الدين الخطيب: ١٩٠.
(٢) دراسات منهجية في علم البديع: ٦٧.
(٣) ديوان ابن زيدون ورسائله: ٦٨٥.
(٤) المصدر نفسه: ٦٩١.
(٥) المصدر نفسه: ٧١٦.
(٦) المصدر نفسه: ٧١٩.
(٧) المصدر نفسه: ٦٢٢.
(٨) المصدر نفسه: ٧٢٨.

افاد التضاد في استغراق الدلالة الشاملة والمبالغة في وصف حالته بعد فراره من السجن مستخفياً ينشد الامان ويطلب من استاذه ابي بكر ليشفع له عند الامير، ويؤدي التضاد الى توضيح المعنى وتأكيده ويعطي جرساً موسيقياً جميلاً. يأتي ابن زيدون اغلب الاحيان الالفاظ التي تشتمل على الجناس والطّباق والسّجع في آن واحد معاً، لما فيه قيمة جمالية وفنية خاص للنص(١).

استعمل ابن زيدون طباق الايجاب لأنه أدعى الى تزيين الكلام وتنميقه، فضلاً عن أن تنوع الألفاظ فيه يدفع السأم والملل ويجدد الرغبة في السماع والمتابعة للرسّالة ومضمونه وهو أسهل من طباق السلب في الكلام وكان ابن زيدون يميل الى السهولة والوضوح والبعد عن الصنعة، وجاءت الطّباق في رسائله عفو الخاطر يبعدها عن الثقل والمخالفة لمألوف الكلام العربي الصحيح(٢).

استعمل ابن زيدون نزر يسير من التضاد مقارنة برسالته الأولى (الهزلية) ويعود ذلك الى اختلاف الموضوعات واغراضها، إذ حافظ ابن زيدون على توازن رسائله والاهتمام بالشكل والمضمون، ويناسب الالفاظ معاني الرسائل، وجمل رسائله بالمحسنات البديعية وأكثر من استعمال البديع في رسالته (الهزلية)، لأنه كتبها وهو في حالة نفسية يتصف بالانفعال والغضب الشديد من منافسه ابن عبدوس، لتفرز هذه الرسّالة بهذا الشكل الفني الجميل.

خامساً: المقابلة

يعدّ فن المقابلة من المحسنات البديعية المعنوية، ومن أبرز الوسائل التي اعتمد عليها الكتاب وللمقابلة نفس دور السّجع والجناس يعطي جرساً موسيقياً ويزيد الكلام حسناً وجمالاً ورونقاً "ويضفي عليها توسطاً واعتدالاً واستقامة وتوازنا في المعاني والالفاظ"(٣).

واختلف البلاغيون في المقابلة فبعضهم جعلها فناً مستقلاً وبعضهم جعلها متصلاً بالطّباق، فالطّباق إذا جاوز الضدين فهو مقابلة وهذا هو الراجح(٤)، فالمقابلة هي: "ان يؤتى بمعنيين متوافقين أو معان متوافقة ثم يؤتى بما يقابل ذلك على الترتيب"(٥).

---

(١) ينظر: نظرية الحجاج تطبيق على نثر ابن زيدون: ٩٩.

(٢) ينظر: النثر الاندلسي في عصر الطوائف والمرابطين، حازم عبدالله خضر: ٥١٠-٥١١.

(٣) النثر الاندلسي في عصر الطوائف والمرابطين: ٥١١.

(٤) ينظر: علم البديع دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع: ١٥٤.

(٥) جواهر البلاغة: ٢٦٦.

وعرفه ابو هلال العسكري: "ايراد الكلام، ثم مقابلته بمثله في المعنى أو اللفظ على جهة الموافقة أو المخالفة"(١).

لم يكتفِ ابن زيدون بالاستعانة بتضاد الطّباق في رسائله بل اشتملت على المقابلة أيضا، لزيين عباراته ويزيده وضوحاً وليتأثر به المتلقي، ليبني رسائله بأسلوب فني جميل.

في الرسّالة الهزلية مقابلات ومقارنات طريقة ليسخر الكاتب من ابن عبدوس على لسان ولادة، منها: "**كسرى حمل غاشيتك، وقيصر رعى ماشيتك، والاسكندر قتل دارا في طاعتك، واردشير جاهد ملوك الطوائف لخروجهم عن جماعتك، والضحاك استدعى مسالمتك**"(٢).

قارن ابن زيدون بين ابن عبدوس وبين الشخصيات التاريخية ليسخر منه ويذكره بمستواه، وللمقابلة اثر واضح في الرسّالة لتكون ألفاظها رشيقة وقريبة الى النفس وتعطي جرساً موسيقياً يشد انتباه المتلقي.

ونجد أيضاً مقابلة بين ولادة وابن عبدوس: "**كيف رأيت لومك لكرمي كفاء؟ وضعتك لشرفي وفاء؟ وأفى جهلت ان الاشياء انما تنجذب الى اشكالها؟ والطير انما تقع على امثالها؟ وهلا علمت ان الشرق والغرب لا يجتمعان؟ وشعرت ان (ناديي) المؤمن والكافر لا يتقاربان؟.. الخبيث والطيب لا يستويان**"(٣).

بالغ ابن زيدون في ذم ابن عبدوس وعدد مساوئه وعن طريق المقابلة وضح الصورة وبين مكانة وصفات ابن عبدوس وصفات ولادة.

ونجد أيضاً مقابلة بين ابن عبدوس وعشاق ولادة الآخرين، يقول: "**وكم بين من يعتمدني بالقوة الظاهرة، والشهوة الوافرة، والنفس المصروفة إليَّ، واللذة الموقوفة عليَّ، وبين اخر قد نضب غديره، ونزحت بيره، وذهب نشاطه، ولم يبق الا ضراطه**"(٤).

لا توجد وسيلة اعنف من مس رجولة الرجل، أراد ان ينتقم منه لشدة غضبه وغيرته على ولادة، وتظهر نفسية الكاتب وشدة انفعاله ليبالغ في الاستهزاء بمنافسه. وهذه المقابلات لم تكن زينة شكلية فحسب، بل جزء اصيل من تفكير ابن زيدون وتعبيره للبوح عما يعاني منه ويكويه ويحرقه وساعده على التعبير عن مشاعره وأحاسيسه وما يجول في خاطره وبشكل مؤثر.

---

(١) كتاب الصناعتين: ٣٤٦.

(٢) ديوان ابن زيدون ورسائله: ٦٣٧-٦٣٨.

(٣) ديوان ابن زيدون ورسائله: ٦٦٢.

(٤) المصدر نفسه: ٦٧٣.

بنى ابن زيدون رسالته كلها على المقابلات والمقارنات بين ابن عبدوس وعشاق ولادة، وبين ابن عبدوس وولادة، وبينه وبين الشخصيات التاريخية التي قورن بها[١].

وظف ابن زيدون المقابلة خدمة لغرضه "ولم يكن اعتماده عليه عشوائياً، بل كان يقصد إليها قصداً، يتحرى بهاء إعطاء الشكل الفني سمة مميزة متفردة، دون ان يكون لها أثر سلبي في المعالجة الموضوعية، فهو يوافق بين موضوعه، وشكله الفني في المقابلة وفي غيرها"[٢].

وتقل صور المقابلة في رسائل ابن زيدون الأخرى وذلك حسب حاجة الموضوع والغرض لهذا المحسن البديعي، ومنها في رسالته البكرية: "**عساك ان تتلافى عوداً ما ضيعت بدءاً، وتهتبل آخراً ما اغفلت أولاً، فيعود غيثه على ما أفسد**"[٣].

أراد ابن زيدون من صديقه ان يشفع له عند الأمير، فعن طريق المقابلة في الرسّالة وصل مقصده الى صديقه وأراد استنهاض همة صديقه ويعاتبه بسّبب إهماله لابن زيدون، وأفاد المقابلة في استغراق الدلالة الزمنية الشاملة في وصفه اهمال صديقه له ويعاتبه لعله ينقذ ما ضيعه منه.

واشتملت رسّالة ابن زيدون المظفرية على المقابلة، ومنها: "**وهو فتى نام جده، واستيقظ حده**"[٤]، **ومنها أيضاً**: "**تحية اخرها عندي، وأولها عنده**"[٥].

وهذه المقابلات وضحت المعنى ورسختها في أذهان المتلقي، وفيها موازنة ايقاعية جميلة وجاءت "متوافقة موضوعياً وفنياً مع غرض الرسّالة، زين به النص، وحسن من موقعه في النفس؛ لما يحمله من دلالات ومضامين فكرية وفنية منسجمة ومتناغمة مع الغرض"[٦]. والمقابلة هي من الفنون التي تربط الكلام و"تؤثر في الأسلوب شكلاً ومضموناً. ففي الشكل توجد فيه نمطاً من التوازن والتناسب له حسنه وبهاؤه، فالألفاظ متجانسة، والجمل متوازنة، والتقابل بينها يحدث أثراً صوتياً له قيمته في وقع الأسلوب. وفي المضمون تظهر المعنى

(١) ينظر: نظرية الحجاج تطبيق على نثر ابن زيدون: ١٠٣.
(٢) النثر الفني عند لسان الدين ابن الخطيب: ١٩٢.
(٣) ديوان ابن زيدون ورسائله: ٧٢٢.
(٤) المصدر نفسه: ٧٥٧-٧٥٨.
(٥) المصدر نفسه: ٧٦٢.
(٦) النثر الفني عند لسان الدين بن الخطيب: ١٩١.

واضحاً قوياً مترابطاً، ففيها يتم ذكر الشيء ومقابله، وعقد مقارنة بينهما، فتتضح خصائص كل منهما، وتتحدد المعاني المرادة في الذهن تحديداً قوياً"[1].

وابن زيدون أديب بارع يعرف حيثيات الكتابة وما يناسبها لذلك أكثر المقابلة في رسالته الأولى (الهزلية) لأنه يحتاج الى توضيح والمقارنة، أمّا في رسائله الأخرى فورد بقدر قليل من هذا المحسن البديعي؛ لأنه لا يحتاج الى المقارنة والتقابل بين الأشياء، وهذا يدل على استعانته بهذا المحسن البديعي لم يكن متكلفاً بل جاءت عفو الخاطر.

(١) دراسات منهجية في علم البديع: ٦٧.

الخاتمة

بعد إنجاز هذا البحث تم التوصل الى نتائج لعل أهمها:-

١. اعتنى ابن زيدون بتنميق رسائله، وذلك من خلال استعمال الألوان البديعية في بناء رساله، وحرص ابن زيدون على التنويع في توظيف المحسنات البديعية، ومنها السّجع الذي لم يلتزم حرفاً واحداً في جميع الفواصل، وإنما كان ينوع بين حرف السّجعة، إلا في رسالته الهزلية التي سار ابن زيدون على وتيرة واحدة، واحتوت سّجعاً متكلفاً ولكن تعمد ابن زيدون في اظهار هذا التكلف والتصنع قصداً، وذلك للمبالغة في الاستهزاء بمنافسه ابن عبدوس.

٢. ساهم الإزدواج والموازنة والجناس على تزيين رسائل ابن زيدون وأكد معانيها وزادها رونقاً وجمالاً ورسوخاً في الاذهان وأكثر استقراراً في الوجدان، وليبين قدراته الابداعية ويحقق الانسجام والتوافق بين الجمل والعبارات.

٣. استعان ابن زيدون بتضاد الطّباق والمقابلة في رسائله وأكثر من التضاد في رسالته الهزلية ليسخر الكاتب من ابن عبدوس على لسان ولادة، ولأنه يحتاج الى التوضيح والمقارنة، اما في رسائله الأخرى ورد بقدر قليل من هذا المحسن البديعي، لأنه لا يحتاج الى المقارنة والتقابل بين الأشياء، وهذا يدل على استعانته بهذا المحسن البديعي، بما يتناسب مع المقال الذي قيلت فيه كل رسّالة.

٤. ساهمت الدراسة في الكشف عن جماليات النّصوص الأدبية، واثبت دور المحسنات البديعية في خلق الروابط وتحديد المعنى وتوضيحه وتوكيده، فضلاً عن ان المحسنات البديعية تعكس مشاعر وأحاسيس وعواطف ابن زيدون الصادقة، وتعكس واقع حياته وحياة عصره سواء كانت اجتماعية أو سياسية أو أدبية.

ثبت المصادر

- أدب الرسائل في الاندلس في القرن الخامس الهجري، فايز عبد النبي القيسي، دار البشير للنشر والتوزيع، عمان – الاردن، ط١، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.
- الإيضاح في علوم البلاغة، خطيب القزويني، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٢م.
- البديع في شعر شوقي، منير سلطان، منشأة المعارف، الاسكندرية، ط٢، ١٩٩٢.
- البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، عبد الرحمن حسن حبنكة الميدلاني، الجزء الثاني، دار القلم، دمشق، والدار الشامية، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.
- البلاغة العربية في ضوء الاسلوبية ونظرية السياق، محمد بركات حمدي، ابو علي، دار وائل للنشر، عمان – الاردن، ط١، ٢٠٠٣م.
- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، احمد الهاشمي، مؤسسة هنداوي سي آي سي، ٢٠١٧م.
- دراسات في البلاغة العربية، د. عبد العاطي غريب علام، منشورات جامعة قاريونسن بنغازي، ط١، ١٩٩٧م.
- دراسات منهجية في علم البديع، الشحات محمد ابو ستيت، دار خفاجي للطباعة والنشر، ط١، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.
- ديوان ابن زيدون ورسائله، شرح وتحقيق علي عبد العظيم، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.
- الرسائل الأدبية النثرية في القرن الرابع للهجرة، العراق والمشرق الاسلامي، غانم جواد رضا الحسن، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ٢٠١١م.
- علم البديع دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع، بسيوني عبد الفتاح، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط٤، ١٤٣٦هـ-٢٠١٥م.
- علم البديع، عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت – لبنان.
- عناصر الابداع الفني في شعر ابن زيدون، فوزي خضر، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشّعري، الكويت، ٢٠٠٤م.
- كتاب الصناعتين، ابي هلال الحسن بن عبدالله بن سهل العسكري، تحقيق: دكتور بدر احمد ضيف، دار العلوم العربية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.
- المعجم المفصل في اللغة والأدب، آميل بديع يعقوب، وميشال عاصي، المجلد الأول، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان، ط١، ١٩٨٧م.

❖ النثر الأندلسي في عصر الطوائف والمرابطين، حازم عبدالله خضر، دار الحرية للطباعة – بغداد، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.
❖ النثر الفني عند لسان الدين بن الخطيب، عبد الحليم حسين الهروط، دار جرير للنشر والتوزيع، عمان – الاردن، ط١، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٦م.
❖ نظرية الحجاج تطبيق على نثر ابن زيدون، عزيز لدية، عالم الكتب الحديث، اربد – الاردن، ط١، ٢٠١٥م.

الأطاريح الجامعية:

❖ النثر الفني عند المترسلين من الشّعراء في القرن الثالث الهجري، اعداد احمد سعيد الزهراني، اطروحة دكتوراه، بإشراف الدكتور ابراهيم الحار دلو، كلية اللغة العربية، قسم الدراسات العليا العربية، جامعة ام القرى، ١٤١٧هـ.

الدوريات:

❖ الاتساق والانسجام في (المنزع البديع) للسجلماسي قراءة في ضوء علم النص، عدي عدنان محمد، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، العدد ١٥، اصدار ١، ٢٠١٥م.